

محمدٌ «ص» .. بشاره الأنبياء



رسالة الأنبياء الكبرى ودعوتهم الجامعه هي «الدّين»، فهم جمِيعاً بعثوا ليبشّروا به ديناً واحداً هو دين الإسلام.. دين الخصوص والاستسلام لأمر الله.. دين الهدایة والإنفاذ للبشرية مع تفاوت في درجات التبليغ، واختلاف في منهج التعبُّد والبناء الاجتماعي. ومع هذا التفاوت في الرسالات، والدعوات الإلهية، فإنَّ معالمها الرئيسية جميعاً تتركز في الرسالة الشاملة لهذا الدين، رساله محمدٌ «ص».

فهي جميعاً قبس من أنوار هذا الدين، وتشكيله عقائدية، وتشريعية من مادّة هذا المنهاج الكبير.. وهي جميعاً تسلك خطوات تمهيدية، ومبادرٍ تحضيرية لإعداد البشرية من أجل حمل رساله هذا الدين، والإيمان بدعوته. لذا كان طبيعياً أن يوجّه الأنبياء - أصحاب الرسالات الكبرى - كموسى وعيسى «ع» أتباعهم إلى انتظار هذا الدين العظيم، لاعتناق دعوته، والتصديق برسالته، والإيمان بنبيه محمدٌ «ص»، فقد أشارت الكُتب الإلهية المقدّسة - التوراة والإنجيل - إلى مجيء هذا النبي العظيم، موجهة أتباعها إلى انتظار الدين، والانضواء تحت دعوته، والتصديق برسالته.

ولقد كان اليهود ينتظرون بعثة نبيٍّ يبعثه الله منقاداً وهادياً للبشرية ويعرّفونه في كُتبِهم وتبشير مستقبلهم، ولقد كانوا يصرّحون بذلك وينتظرون بعثته لينتموا به على العرب من الأوس والخرج.

ولقد سجّل القرآن هذه الحقيقة وذكر اليهود بها، فخاطبهم بقوله: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِنَا أَمْرٌ مُّصَدَّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَهْفِتُهُونَ عَلَى الْأَذْدِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة/ 89).

ولقد حدثت أحداث ووقائع تاريخية مشهورة في التاريخ اليهودي من قبل مجيء محمد^ص، دللت على ذات المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة من بعد البعثة (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَذْرِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَافَرُوا بِهِ).

فقد ورد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قوله: "كان اليهود يستفتحون - أي يستنصرون - على الأوس والخرج برسول ^ص قبل مبعثه، فلمّا بعثه الله من العرب ولم يكن منبني إسرائيل كفروا به وجدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معروف: يا معاشر اليهود اتقوا الله وأسلموه، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد^ص، ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث. فقال سلام بن مشكم أخوبني النمير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكر لكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية".

وروى العياشي بإسناده رفعه إلى أبي بصير عن أبي عبد الله، فقال: "كانت اليهود تجد في كُنُبها أنّ مهاجر محمد^ص رسول الله ^ص ما بين عيّر وأُخدُد، فخرجوا يطلبون الموضع فمرّوا بجبل يقال له حداد، فقالوا حداد وحد سواء فتفرّقوا عنده، فنزل بعضهم بتيماء، وبعضهم بفذك، وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمرّ بهم أعرابيٌّ من قيس فتکاروا منه، وقال لهم أمرٌ بكم ما بين عيّر وأُخدُد، فقالوا له إذا مررت بهما فاذْرِنَّا بهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة، قال ذلك عيّر، وهذا أُخدُد، فنزلوا عن ظهر إبله، وقالوا له قد أصبنا بغيتنا، فلا حاجة بنا إلى إبلك، فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفذك وخمير: إنّا قد أصبنا الموضع، فهلّمّا وآلينا، فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدار، واتخذنا بها الأموال، وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم، واتخذوا بأرض المدينة أموالاً، فلمّا كثرت أموالهم بلغ ذلك، تبعاً، فغراهم، فتحصّنوا منه، فحاصرهم ثمّ أمنهم فنزلوا عليه، فقال لهم إنّي قد استطبت بلادكم، ولا أراني إلا مقیماً فيكم، فقالوا له: ليس ذلك لك، إنّها مهاجر نبيٌّ، وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك. فقال لهم: فإنّي مختلف فيكم من أُسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حين تراهم الأوس والخرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أمّا لو بعث محمد^ص ل Derrickكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله محمد^ص آمنت به الأنصار، وكفرت به اليهود".

وهو قوله تعالى: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَذْرِينَ كَفَرُوا) إلى آخر الآية.

- بشاره الإنجيل بمجيء رسول الله محمد^ص:

على الرغم من التحريف الذي تحمله الأنجليل المتداولة، فإنّ ما وصل منها بأيدينا لازال يحمل البشارة برسول محمد^ص، ومع ذلك فإنّ المترجمين للأنجليل حاولوا أن يُحرّرُوا ذلك أيضاً، كما سبقّ صفح فيما يلي:

جاء في إنجليل يوحنا: (إن كنتم تحدّوني فاحفظوا وصاياتي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم "بار قليط" - معزّياً - آخر ليملككم إلى الأبد.).

(وأمّا المعزي الروح القدس الذي سأرسله الأب باسمي، فهو يعلّمكم كلّ شيء، ويذكركم بكلّ ما قلته لكم).

(لا أتكلّم معكم كثيراً أنّ رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء).

(ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحقّ الذي من عند الأب ينبع فهو يشهد لي).

(لكنّي أقول لكم الحقّ، إنّه خير لكم أن أنطلق، لأنّه إن لم أنطلق لا يأتكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله لكم ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة، أمّا على خطية فلا زّهم

لا يؤمنون بي، وأمّا على بـ“فلان” ذاهب إلى ربّي ولا ترونني أيضًا، وأمّا على دينونة فلان” رئيس هذا العالم قد دين. إنّ لي أُمورًا كثيرةً أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاء ذلك روح الحقّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية، ذلك يمجدني لأنّه يأخذ مما لي ويخبركم).

وبالتالي في هذه النصوص نجد أنّها تشير إلى:

1 - أنّ المسيح «ع» يوصّي ويبشر بمجيء موعده بعده.

2 - وأنّ مجئه مشروط بذها به.

3 - وأنّه مرسلا من قبل الله تعالى.

4 - وأنّه يعلم كلّ شيء.

5 - وأنّه يذكر بما قاله المسيح «ع».

6 - وأنّه يشهد للمسيح «ع».

7 - وأنّ العالم سيتبع دينه.

8 - وأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل يتكلّم بما يسمع.

9 - وأنّه يخبر بأمور آتية.

10 - وأنّه يمجد المسيح «ع».

11 - وأنّه يبقى معهم إلى الأبد.

وإذا راجعنا صفات رسول الله محمد «ص» فنجد أنّ هذه تنطبق عليه تماماً، فإنّه يحمل القرآن الذي هو (تبیان لكلّ شيء)، ويخبر عن أمور آتية وقعت بعد نزوله، وأنّه يشهد لل المسيح «ع» بالنبوة، والرسالة، ويمجّد المسيح «ع»، وهو لا يتحدث من نفسه بل بما يوحى إليه: (وما ينطق عن آنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَهُوَ يُوحى) (النجم/ 3-4).

وقد انتشر دينه في العالم، وقرآنٌه حيٌّ خالد إلى الأبد، ويزداد يقيننا أكثر إذا علمنا أنّ الكلمة المعزى هي ترجمة محرفة لكلمة (باريكليتوس) اليونانية التي كتب بها إنجليل يوحناً منذ البداية، وهي تعني في ترجمتها الدقيقة (أحمد)، وقد حرّفت الكلمة في الأنجليل عند ترجمتها إلى (باريكليتوس) والتي تعني المعزى.

وذلك ينطبق حرفيًا مع ما أثبتته القرآن من كلام المسيح «ع» إلىبني إسرائيل: (وَإِذْ قَالَ عَرِيسَى إِنْ مَرِيمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُوهُ أَحْمَدًا) (الصفّ/ 6).

مَنْ يَرَاجِعُ التَّارِيخَ يَجِدُ أَنَّ تِبْشِيرَ الْمَسِيحِ «عُ» بِنَبِيٍّ يَأْتِي بَعْدِهِ كَانَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمُسَلَّمَةِ لِدِي النَّصَارَى مِنْ زَمْنِ الْمَسِيحِ «عُ»، وَقَبْلِ ظَهُورِ الإِسْلَامِ، وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤْرِخُونَ مِثْلَ (ولِيمِ مُورَ) ، بِأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ أَتْقَيَاءِ الْمُسَيْحِيِّينَ بَعْدَ الْمَسِيحِ «عُ»، مَنْ ادَّعَى كَوْنَهُ هُوَ (الْبَارْقَلِيتُ) الْمَوْعَدُ، وَإِنَّ نَاسًا كَثِيرِينَ قَدْ اتَّبَعُوهُ مَصْدَقَيْنِ.. وَذَلِكَ يَؤَكِّدُ بِأَنَّ النَّصَارَى طَلَّوْا قَرُونًا قَبْلَ الْبَعْثَةِ النَّبِيَّةِ يَنْتَظِرُونَ هَذَا الْمُرْسَلِ. وَقَدْ دَفَعَ هَذَا الاعْتِقَادُ بِالبعْضِ إِلَى اسْتِغْلَالِهِ وَالْادْعَاءِ بِأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمَوْعَدُ مِنْهُمْ (مِنْتَسِي) الَّذِي كَانَ رَجُلًا رُوحَانِيًّا وَادَّعَى فِي عَامِ (187) بِأَنَّهُ هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ الْمَسِيحَ وَقَدْ تَبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ. وَهَذَا بِدُورِهِ يَؤَكِّدُ أَنَّ مُسَيْحِيِّي الْقَرُونِ الْأَوَّلِيَّةِ يَفْهَمُونَ الْبَارْقَلِيتَ إِنْسَانًا رَسُولاً سَوِيًّا لَا مَلَاكًا لَا رُوحًا إِلَهِيًّا، حَيْثُ حَاوَلَ بَعْضُ الْقَسَّاسِ تَفْسِيرَ الْبَارْقَلِيتَ بِأَنَّهُ رُوحُ الْقَدْسِ، وَأَنَّهُ حَلٌّ بَعْدَ الْمَسِيحِ عَلَى تَلَامِيذهِ فَأَنْطَقُوهُمْ بِكُلِّ الْلُّغَاتِ!.. كَمَا أَنَّنَا لَمْ نَجِدْ فِي التَّارِيخِ وَرَوْدِ مَعْارِضَةٍ مِنْ نَصَارَى صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَنْ نَزْوَلِ الْقُرْآنِ وَإِخْبَارِهِ بِأَنَّ الْتُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ قدْ بَشَّرَتَا بِرَسُولِ أَنَّ مُحَمَّدَ «صَ»؛ وَلَكِنْ نَقَلَتْ وَقَاعِئَ تَارِيَخِيهِ عَنْ نَقاَشِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا إِذَا كَانَ الرَّسُولُ الْمَوْعَدُ هُوَ هَذَا أَمَّا غَيْرِهِ، مَمَّا يَؤَكِّدُ أَنَّ الْبَشَارَةَ الْوَارَدَةَ هِيَ بَشَارَةُ بِرَسُولِ إِنْسَانٍ يَرْسُلُ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ تَعَالَى.. وَقَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامُ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِسَبِيلِ تَلَكَ الْبَشَارَةِ الْمُتَبَتَّةِ فِي كُتُبِهِمْ. وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ مُثْبِتًا إِيَّاهَا، وَمُحْتَاجًا إِلَيْهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِقَوْلِهِ: (إِلَّا ذَيْنَ يَأْتِيَ بِدَعْوَتَنَّ رَسُولَ النَّذَرِيِّ الْأُمَّيِّيِّ الْأَذَدِيِّ يَأْجُدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمُعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) (الْأَعْرَافِ / 157).

(وَإِذْ قَاتَلَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَأْتِي بَنْدِي إِسْرَائِيلَ إِنْسَيْ رَسُولُ أَنَّهُ لَيَكُمْ مُصَدَّقًا لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ أَحْمَدًا) (الصَّفِ / 6). وَلَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الْحَقَائِقُ لَدِي كُلِّ مَنْصُوفٍ وَبَاحِثٍ عَنِ الْحَقِّ.. يَرِيدُ الْإِسْلَامُ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِسَبِيلِ تَلَكَ الْبَشَارَةِ الْمُتَبَتَّةِ فِي كُتُبِهِمْ. كَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحِبْشَةِ الْمُسِيْحِيِّ الَّذِي اسْتِجَابَ لِكُلْمَةِ الْحَقِّ حِينَمَا وَجَهَ إِلَيْهِ رَسُولُ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ لِلْإِيمَانِ وَيَحْذِهِ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ، وَسُجِّلَ كَلْمَتُهُ الْخَالِدَةُ الَّتِي احْتَضَنَهَا قَلْبُ التَّارِيخِ فَحَفَظَهَا شَهَادَةُ الْأَنْصَافِ.. وَكُلْمَةُ مَنْصُوفٍ لَا يَتَأْثِرُ بِمُورُوثَاتِ الْبَيْتَةِ، وَلَا يَخْصُعُ لِضُغْطِ الْكَبِيرَيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ.. قَالَ كَلْمَتُهُ الْخَالِدَةُ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ..». وَهَكُذا يَدْعُ مَنْصُوفٍ وَبَاحِثٍ عَنِ الْحَقِّ أَنَّ مُحَمَّدًا «صَ» كَانَ بَشَارَةُ الْأَنْبَيَاءِ وَمُنْتَظِرُ الرَّسُولِ الْمَرْجُوِيِّ لِإِصْلَاحِ الْبَشَرِيَّةِ وَإِنْقَاذِهَا.. يَبْشِّرُ بِهِ الْأَنْبَيَاءِ وَيَدْعُونَ أَنَّهُ لَبَعْتَهُنَّ. فَهُدَا أَبُو الْأَنْبَيَاءِ إِبْرَاهِيمَ «عُ» بِشَرْقِ قَبْلِ مُوسَى وَعِيسَى بِالْبَعْثَةِ وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَبْعَثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ نَبِيًّا مِنْهَا، هَادِيًّا وَمُنْقَداً فَكَانَتْ هَذِهِ الدُّعَوَةُ إِشَارةً إِلَى مُحَمَّدٍ نَبِيًّا مُصَدَّقًا «صَ»، كَانَ الْقُرْآنُ قَدْ كَشَفَ عَنْهَا، فِي آيَتَيْنِ مُتَنَاسِقَتِيْنِ فِي الصِّفَةِ وَالْمَعْنَى، فَقَالَ تَعَالَى حَاكِيًّا عَنْ لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ دُعَاءَهُ: (رَبَّنَا وَابْنَعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَأْتِلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الْبَقْرَةِ / 129). فَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ بَشَارَةً، وَإِشَارةً إِلَى بَعْثَةِ نَبِيٍّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ «صَ» هَادِيًّا وَمُرْشِدًا مِنْ ذِرَّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ «عُ». هَذَا الدُّعَاءُ الَّذِي وَجَدَ جَوَابَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (هُوَ الْأَذَدِي بَعَثَ فِي الْأُمَّةِ بَعَثَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَأْتِلُهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنَّ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبَدِّلِينَ) (الْجَمَعَةِ / 2).

قالَ رَسُولُ أَنَّ مُحَمَّدًا «صَ»: «أَنَا دُعَوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةُ عِيسَى «عُ»».